

تمثيلات شباب جنوب البحر المتوسط حول الهجرة غير الشرعية من خلال

مواقع التواصل الاجتماعي

Representations of youth in the southern Mediterranean on illegal immigration through social media

قصوري سمير¹، رشيد نغناغ²¹ مخبر الأسرة، التنمية، الوقاية من الانحراف والإجرام (جامعة الجزائر 2)، جامعة مولود معمري - تيزي وزو (الجزائر)،

Samir.koussouri@ummto.dz

² مخبر الأسرة، التنمية، الوقاية من الانحراف والإجرام (جامعة الجزائر 2)، جامعة مولود معمري - تيزي وزو (الجزائر)،

rachid.naghnagh@ummto.dz

تاريخ الاستلام : 2025/01/22 ؛ تاريخ القبول : 2025/03/23

ملخص: تعاني دول شمال البحر المتوسط، من زحف متزايد من طرف المهاجرين القادمين من جنوب البحر المتوسط، وفي الآونة ازدادت هذه الهجرات بشكل كبير، رغم وضع هذه الدول لقيود وآليات قانونية ومادية للحد منها، لكن دون جدوى، فما يسمى قوارب الموت، تتزايد كل يوم وجحافل المهاجرين من أفراد وحتى أسر في تزايد مطرد، لكن ماذا يطمح هؤلاء الشباب في اجتيازهم للبحر؟ مع إمكانية التعرض للمخاطر، وما ذا تمثل لهم هذه الهجرة حين يخاطرون بحياتهم في سبيلها؟ هذا ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه من خلال عدة مصادر خاصة منها مواقع التواصل الاجتماعي وأهمها الفايسبوك، وما يطلقه المتابعين من تعليقات حول هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، التمثيلات، الهجرة غير الشرعية، الحرق، قوارب الموت.

Abstract :

The countries of the northern Mediterranean are suffering from an increasing influx of immigrants coming from the southern Mediterranean. Recently, these migrations have increased significantly despite these countries putting in place legal and material restrictions and mechanisms to limit them, but to no avail. The so-called death boats are increasing every day and the hordes of immigrants, individuals and even families, are steadily increasing. But what do these young people aspire to when they cross the sea with the possibility of being exposed to dangers and what does this migration represent to them when they risk their lives for it? This is what this study attempts to answer through several sources, especially social media sites, most notably Facebook, and the comments made by followers about this phenomenon.

Keywords : Social media, representations, illegal immigration, burning, Death boats.

* قصوري سمير.

مقدمة:

غالبا ما تقف الظروف الاجتماعية، سدا وعائقا في تحقيق تطلعات الفرد في البحث عن حياة أفضل، وخاصة إذا كان الفرد لا يملك إلا إمكانيات متواضعة، الشيء الذي سوف يدفعه إلى البحث عن بدائل لتعويض هذا النقص، ويعتبر العامل الجغرافي الذي هو معطى اجتماعي آخر، يلزم على الفرد العربي، الذي ولد في بيئة تسمى بالعالم المتخلف أو الثالث، والذي تسعى دوله إلى التخلص من هذه الوضعية منذ وقت طويل، بحيث يحتم على هذا المواطن التعايش مع هذه الظروف وتقبل الأمر الواقع إلى حد ما، لكن هذا الأمر قد قبل به الرعيل الأول من آبائنا وأجدادنا، وربما القليل منهم رفض العيش في كنفه، وأنقض من أجل لقمة العيش، وسعى إلى البحث عن بدائل جديدة من أجله ومن أجل أسرته، حيث حزم أمتعته، وغادر الوطن متجها إلى شتى بقاع العالم، للبحث عن لقمة العيش، لكن مع جيلنا هذا والذي تغيرت نظرتة إلى أشياء، باختلاف عن ما كان يؤمن به الأسلاف، بحيث تغيرت نظرتة حتى لبعض المفاهيم والقيم الاجتماعية الراسخة، وذلك في ضوء التفتح العالمي، والمشاركة العالمية في كل شيء بحيث أصبح يرى نماذج حية أمام عينه، هذه النماذج بدأت تلوح في الأفق منذ ظهور وسائل الاعلام المسموعة والمرئية، وزاد من اتساع هذه الفجوة، ظهور الأنترنت في نهاية القرن الماضي والتبشير بالقرية العالمية الصغيرة، على حسب تنبؤ مارشال ماكلوهان خلال السبعينيات في نفس القرن، كل هذا بدأ في الدفع بكرة الثلج لزيادة، أمام الضعف المحلي، والتراجع على جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحتى العلمية منها لدى هذه الدول والشعوب، هذا الأمر دفع بشريحة كبيرة من الشباب إلى وضع علامات استفهام حول مستقبلهم، وبقائهم في أوطانهم وانتظار مصيرهم المحتوم، ورضاهم عن أوضاعهم، شأن الذي ينتظر تنفيذ حكم الإعدام المؤجل، حيث قام الكثير منهم على تنفيذ مسلسل الهروب من الأوطان، والتخلص من هذا الحلم المزعج، حسب تصريحات بعض الذين تحدثنا معهم في الموضوع، وإذا كان البعض من هؤلاء الشباب قد نجح في الخروج من الوطن، عن طريق الهجرة العادية عن طريق تأشيرة سياحية أو دراسية، فالكثير منهم فضل الجانب المظلم في غياب الإمكانيات، وما يحيط به من مخاطر قد تؤدي في بعض الأحيان إلى فقدان الحياة، وسط البحر على ظهر ما تسمى بقوارب الموت، أو عن طريق البر عبر بعض حدود دول العبور، ناهيك عن مصيرهم في الغربة، والذي هو ليس بأفضل حال، وفي هذا الصدد تطلع علينا تقارير صادمة حول هؤلاء، عبر وسائل الإعلام و وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة تتحدث عن لجوئهم قسرا إلى الطرق غير شرعية، لتأمين أبسط احتياجاتهم اليومية ووقوع الكثير منهم في الانحراف، ولجوئهم حتى إلى العيش في الغابات الجانية، للمدن والقرى أو الوقوع بين أحضان عصابات الإجرام، التي توظفهم في بيع المخدرات والترويج لها، وحتى في بعض الأحيان يقعون ضحايا لتجار البشر وتجار الأعضاء البشرية، ويرى البعض أن هذه الظاهرة ليست دائما نتيجة حتمية لظروف اجتماعية و اقتصادية معينة، حسب عالم الاجتماع أنطوني غيدنز بل هذا الأمر لم يكن جديدا على حد قوله، بل هي ظاهرة عالمية قديمة، وستزيد في السنوات القليلة القادمة حيث سمي هذا العصر "عصر الهجرة" (أنطوني

غيدنز، 2005، ص11)، لكن حسب الإحصائيات والدراسات الحديثة خرجت هذه الظاهرة عن السياق الطبيعي العادي وكانت في معظم هذه البحوث تجد لها تفسيرات مختلفة.

بحثنا هذا سوف يحاول تحليل الظاهرة واستنطاق بعض الأرقام المتعلقة بالظاهرة، والتي كادت أن تكون أكبر ظاهرة، تسبب فقدان الأرواح بعد الحروب المنتشرة في العالم، والتي تعد أحد أسباب هذه الظاهرة، كما أننا سنتطرق إلى الأسباب والعوامل التي تدفع بهؤلاء إلى خوض هذه المغامرة وظروفها الغير الإنسانية.

الإشكالية:

الهجرة غير الشرعية هي ظاهرة مرضية، تتشابه مع الظواهر الاجتماعية المختلفة، التي هددت المجتمعات البشرية في العصر الحديث، سواء باستنزاف طاقاتها ومقدراتها البشرية، وخاصة فئة الشباب من جهة، وعبئها على الدول المستقبلية للموجات الهائلة من أفواج الهجرة، والتي تقف عاجزة عن إيجاد حل لها حتى الآن من جهة أخرى، بحيث لم تفلح هذه الدول سواء بالأساليب الوقائية، عبر الترغيب بإعطاء مساعدات مالية لدول المنبع، أو بأساليب التهريب والردع وخاصة في موطن الوصول، وذلك بتعقيد أساليب الاستقبال، و استعمال الملاجئ الغير اللاتقة لإيواء المهاجرين، وتجريم كل من يمد يد المساعدة لهؤلاء من مواطني هذه الدول، وقد امتد الأمر في بعض الأحيان إلى إغراق الكثير من القوارب في البحر من بعض الدول، لكن يبقى عامل تلميع صورة الرجل المهاجر محليا، والذي يخرج من وطنه فارغ اليدين ثم يعود بعد سنوات، بصورة مغايرة وحصيلة مادية معتبرة، يتباهى بها أمام أصدقائه وأقاربه (محمد غربي، 214 ص 96)، أو من خلال بث صورته ومستواه المعيشي الذي صار إليه، عبر مواقع التواصل الاجتماعي عاملا مشجعا، الشيء الذي كان سببا لكثير من الشباب لخوض هذه التجربة، وخاصة في ضوء الأوضاع المتردية في بلدانهم الأصلي، والتي تدفع نحو المزيد من اليأس واختيار بديل آخر متمثلا في الهجرة، بل حتى الهجرة الغير الشرعية منها، كما تعتبر هذه الظاهرة مصدرا دوليا ماديا لجمع الأموال غير الشرعية، إثر ممارسة عصابات تهريب البشر المحلية والدولية، واعتمادها هذه التجارة كمورد لها، ناهيك عن استعمال هذه الظاهرة سياسيا من طرف بعض الدول، للمساومة حول مزايا سياسية، أو إعانات مادية أو تدعيم لوجهات نظر، حول أوراقه ضغط لبعض القضايا الدولية، مثل ما مارسته تركيا على الاتحاد الأوروبي في هذه المجال حول مسألة انضمامها للاتحاد.

يستشف من سياق هذا التحليل؛ تساؤلات كثيرة تطرح حول هذه القضية العالمية حول أسبابها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى النفسية، التي تقف كخزان يمد ويزيد في تفاقم هذه الظاهرة، إن هذه الدراسة تحاول استقصاء دور العامل التكنولوجي، المتمثل في الوسائل التكنولوجية الحديثة ومدى مساهمتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في تفاقم الظاهرة وتسارعها واتساعها على نطاق اجتماعي كبير لا يستثنى منها أحد؛ كبير وصغير، رجل وامرأة، أمي ومتقن، وأهم الأسئلة التي طرحت في هذا الصدد؛ كيف ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية في المجتمع، وخاصة المجتمع الجزائري، والذي عرف إلى وقت قريب بالمجتمع المحافظ، والذي له خلفية تاريخية سوداء ضد

كل ما يدفع للذهاب ما وراء البحر؟ وما هي الأسباب الدافعة لذلك وكيف تتمثل الهجرة لشباب وما تمثل له؟

1- الجانب النظري لظاهرة الهجرة غير الشرعية:

تمهيد:

إن التحليل السوسيولوجي كما يقول بيار بورديو هو معركة رياضية، بعيدا عن الحلبات الحقيقية بل يحدث على مستوى حلبات الأفكار، فعندما نحاول تفسير ظاهرة ما لا نستطيع تناولها من وجهة واحدة، أو من منظور واحد، إذ تتجاذب أفكار عديدة في وصفها وتفسيرها وتحليلها، ولا نتعصب إلى حد التطرف إذا قلنا قد تختلف وجهات النظر إلى حد الاحتدام والتصادم والتناقض، أو قد تكون مطابقة لبعضها البعض مع اختلافات دقيقة، أو قد تعيد إنتاج نفسها في بعض الأحيان.

1.1- تعريف الهجرة غير الشرعية:

الهجرة غير الشرعية هي انتقال الأفراد أو جماعة من مكان لأخر بطرق سرية، مخالفة لقانون الهجرة كما هو متعارف عليه دوليا، في قاموس الجغرافيا تعرف بأنها: " انتقال الإنسان من مكان يدعى المكان الأصلي أو مكان المغادرة إلى آخر يدعى المكان المقصود، أو مكان الوصول بشرط أن يتجاوز الانتقال حدودا إدارية أو سياسية، والهجرة هي التغير الدائم أو الشبه الدائم لمكان الإقامة، بغض النظر عن المسافة المقطوعة، مؤثرة بذلك على عدد السكان شأنها شأن حركة السكان الطبيعية، والمهاجر هو الشخص الذي يغير مقر سكناه المعتاد لفترة زمنية معقولة، عابرا حدود إدارية داخل الدولة الواحدة أو حدودا سياسية من دولة لأخرى " (علي لبيب وآخرون، 2004، ص333)

1.1.1- من الناحية القانونية:

عرفت الاتفاقية الدولية حول حماية حقوق العمال المهاجرين، وأفراد عائلاتهم التي أقرتها الجمعية العامة في 18/06/1990 طبقا للمادة 2 فقرة: أ العمال المهاجرون بأنهم "الأشخاص الذين يعملون أو سيعملون أو قد عملوا في نشاط مأجور في دولة غير دولتهم".

أما المفوضية الأوروبية تعتبر الهجرة غير الشرعية؛ هي كل دخول عن طريق البر أو الجو أو البحر إلى إقليم دولة عضو بطريقة غير قانونية، سواء كان ذلك بواسطة وثائق مزورة، أو بمساعدة شبكات الجريمة المنظمة، أو من خلال الدخول إلى منطقة الفضاء الأوروبي - الاتحاد الأوروبي - بطريقة قانونية من خلال موافقة السلطات بالحصول على تأشيرة ومن ثم البقاء بعد انقضاء الفترة المحددة، أو تغيير غرض الزيارة، فيبقون دون موافقة السلطات (ساوس خيرة عبد الرحمان، 2018، ص103)

2.1.1- في القانون الجزائري:

تنص المادة 175 مكرر 1 من القانون 09-01 المعدل لقانون العقوبات الجزائري على: "دون الإخلال بالأحكام التشريعية الأخرى السارية المفعول، يعاقب بالحبس من شهرين إلى ستة أشهر أو بإحدى العقوبات، كل جزائري أو أجنبي مقيم يغادر التراب الوطني، بصفة غير شرعية أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية أو الجوية، وذلك بانتحال هوية أو باستعمال وثائق مزورة أو أي وسيلة احتيالية

أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة أو من القيام بالإجراءات التي توجبها القوانين والأنظمة السارية المفعول"، وكما تنص المادة 545 من القانون البحري رقم 98-05 على "يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى خمسة سنوات وبغرامة مالية من 10.000 إلى 50.000 دج كل شخص يتسرب خلسة إلى سفينة بنية القيام برحلة، وتطبق نفس العقوبة على أي عضو من الطاقم أو أي موظف يساعد على متن السفينة أو على اليابسة على إركاب أو إنزال راكب خفي أو إخفاء أو أخفاه وزوده بالمتونة، كما تطبق نفس العقوبة على الأشخاص الذين تنظموا بأي شكل لتسهيل الركوب الخفي وتحمل السفينة التي حدثت على متنها الجنحة مصاريف الطرد إلى خارج قطر الركاب الأجانب الذين ركبوا خفية".

ومن خلال المادتين يتضح تعريف الهجرة غير الشرعية على أنها جريمة يعاقب عليها القانون الجزائري، وكما نص المشرع الجزائري في الماد 303 مكرر 30 على أنه "يعد تهريباً للمهاجرين القيام بتدابير الخروج الغير مشروع من التراب الوطني لشخص أو عدة أشخاص من أجل الحصول، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على منفعة مالية أو أي منفعة أخرى".

إن المشرع الجزائري عالج الهجرة غير الشرعية من منطلق مسبباتها ووسائل تنفيذها وقد تطرق إلى الأفراد الذين يساهمون من منطلق المساهمون في الجريمة في المادة 41 و 43 من قانون العقوبات الجزائري الفاعل والشريك.

2.1- إحصائيات عن الهجرة غير الشرعية:

رغم عقد الاتحاد الأوروبي لاتفاقيات تحفيزية، مع دول الجنوب خاصة تونس ومصر، شأنها كشأن الاتفاق مع تركيا لسنة 2016، وذلك منذ بداية السنة الجارية أي 2024 تبقى تواجه هذه الاتفاقيات عقبات كثيرة في آليات تطبيقها، وخاصة أنها تتبع سياسة الجزر والعصى، وتقع تحت ضغوطات وتبعات في هذا الأمر حيث ومع ذلك، تتوقع وكالة حماية الحدود الأوروبية (فرونتيكس) أن يكون 2024 عاما صعبا، في ظل تطور تكتيكات مهربي البشر في البحر، واتساع رغبة الفرار الجماعي، من مناطق النزاعات والأزمات الاقتصادية، وسلوك ومسارات أخرى غير معروفة.

بالنسبة لتونس: هناك تراجع في عمليات الهجرة، وذلك على ضوء مذكرة التفاهم الممهدة لاتفاق الشراكة، التي وقعتها المفوضية الأوروبية مع تونس في يوليو/تموز 2023، وهي تشمل تمويلات بـ 105 ملايين يورو موجهة لقطاع الحرس البحري، و 150 مليون يورو لدعم موازنة الدول (طارق القيزاني، عام مفصلي أمام الشراكات الشاملة لكبح الهجرة غير النظامية، الجزيرة نت)، وقالت رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون ديرلاين إن: "الاتحاد الأوروبي يحافظ على التزامه تجاه تونس، ويصرف 150 مليون يورو لدعم الإصلاحات الاقتصادية والاستقرار المالي، هذه خطوة مهمة في التفاهم المشترك الذي توصلنا إليه العام الماضي، وإنجاز كبير لشاركتنا"، وعلى إثر هذه التحفيزات تراجعت السواحل التونسية في تصدير الهجرة إلى جنوب المتوسط وذلك خلال بداية السنة الجارية".

وبالنسبة لمصر: وقع الاتحاد الأوروبي اتفاق شراكة مماثلا مع مصر في 17 مارس/آذار 2024، لكن في سياق مختلف حيث تمكنت مصر - على عكس تونس - من توسيع اتفاق قرض مع صندوق النقد الدولي إلى 8 مليارات دولار من 3 مليارات دولار، تم توقيعه في ديسمبر/كانون الأول 2022.

تبلغ القيمة الإجمالية للتمويلات الأوروبية، في اتفاق الشراكة 7.4 مليارات يورو، بهدف إنعاش اقتصاد مصر المتعثر، من بين تلك التمويلات 200 مليون يورو موجهة لجهود مكافحة الهجرة غير النظامية. وتقيد التقارير الواردة من مختلف المصادر وخاصة دوريات الأنترنت، بأن موجات كبيرة وأرقام صاعدة حول أعداد المهاجرين السريين، من مختلف الدول وخاصة دول الجنوب حيث كشفت منظمة الهجرة الدولية، عن وفاة أكثر من 50 ألف شخص في محاولات هجرة غير شرعية منذ 2014 إلى غاية سنة 2023، وذلك وفقاً لوكالة الأنباء الإيطالية نوبا.

وصدر تقرير عن منظمة الهجرة الدولية، بأنه من عام 2014 إلى اليوم، لقي أكثر من 50 ألف شخص حتفهم في محاولات الهجرة غير الشرعية، وأكثر من نصف الوفيات سجلت بأكثر من 29 ألف قتيل إلى داخل أوروبا، بينما لقي الجزء الآخر مصرعهم بحوالي 25 ألف شخص في البحر الأبيض المتوسط (آية الله حمدي مجلة الأسبوع الرياضي على الأنترنت، <https://www.elaosboa.com>).

كما ذكر تقرير عربي نيوز أن سنة 2015، كانت سنة كارثة بالنسبة لضحايا الهجرة غير الشرعية حيث لقي ما يقارب 1500 شخص حتفهم في انقلاب قارب مقابل السواحل الليبية (تقرير الهجرة غير الشرعية، عربي نيوز BBC، <https://www.bbc.com>).

كما قدمت الأمم المتحدة أرقاماً مرعبة حول الأمر، أعلنت منظمة الأمم المتحدة للهجرة أن الربع الأول من العام الحالي، شهد أكبر حصيلة لضحايا الهجرة، عبر المتوسط تُسجل بين كانون الثاني/يناير وآذار/مارس منذ 2017، موضحاً أن 441 مهاجراً لقوا حتفهم في رحلات العبور هذه، وأن نسبة الهجرة تضاعفت بنسبة 130 بالمئة خلال السنوات الأخيرة.

قال المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للهجرة، أنطونيو فيتورينو الأربعاء (12 نيسان/أبريل 2023) إن الفترة بين كانون الثاني/يناير وآذار/مارس 2023 شهدت تسجيل أكبر عدد من الضحايا في عمليات عبور المهاجرين البحر المتوسط منذ 2017، وأوعز التقرير كسابقيه من التقارير التي تناولت الموضوع أن نسبة الضحايا، كانت وراءها تأخر عمليات الإنقاذ أو منعها في بعض الأحيان.

3.1- الهجرة غير الشرعية في الجزائر:

تشير إحصائيات سنة 2021 لشهر أكتوبر، ارتفاع في أعداد المهاجرين الجزائريين، الذين يعبرون إلى سواحل إسبانيا بطرق غير شرعية، إذ شكل عدد "الحراقة" الجزائريين أكثر من 70 بالمائة من العدد الإجمالي للمهاجرين غير الشرعيين، الذين وصلوا إلى إسبانيا (شبه جزيرة أيبيريا) وجزر البليار في النصف الأول من عام 2021، بحسب صحف إسبانية (خبر bbc Arabic ، 12 أكتوبر 2021).

وأفاد تقرير صادر عن وكالة مراقبة الحدود الأوروبية " فرونتكس " بأن "67% من المهاجرين غير النظاميين القادمين إلى إسبانيا حتى نهاية يوليو من السنة الماضية، عبروا البحر المتوسط، كانوا من الجزائر "وكشف المصدر ذاته أن "المهاجرين الجزائريين شكلوا ثلثي المهاجرين غير النظاميين، القادمين إلى سواحل إسبانيا، خلال هذه الفترة من إجمالي 7040 مهاجراً، ما يفيد أن عدد الجزائريين الذين وصلوا إلى هناك بلغ 4717 مهاجراً غير شرعي.

4.1- المدخل السوسيولوجي لظاهرة الهجرة غير الشرعية:

1.4.1- مفهوم الهجرة عند عبد المالك صياد:

يعد عبد المالك صياد من الأوائل الذين كتبوا عن الهجرة، وخاصة هجرة الجزائريين إلى فرنسا، وقد تناول الهجرة بمنظور مختلف عن سابقه، لكن أعماله لم ينتبه لها إلا بعد وفاته فأصبح يصنف من أهم الذين كتبوا عن الهجرة، وتعد كتاباته مرجعا عالميا حتى الآن، قسم صياد الهجرة حسب تطورها التاريخي قبل الحرب العالمية الثانية، ثم بعد الحرب العالمية الثانية، وثم مرحلة ثالثة بعد الاستقلال، كما أعطى لكل مرحلة تفسيرا وتحليلا سوسيولوجيا، فمن الهجرة الفردية، والتي كانت تحاط بنوع من القداسة، وتمثيل الجماعة والمنطقة، خاصة مفهوم "تجمعات" والذي يكون من ورائها، لائحة كبيرة من التوصيات، والوصايا والمال يعتبر مسألة هامشية، إلى الهجرة الفردية التي يسعى من خلالها الفرد إلى إثبات الذات، بعيدا عن قيم الجماعة، والتحرر منها، وهنا أصبح المال أحد ركائز هذه المرحلة، كما يقول صياد يحكمها "البعد الاقتصادي أساسا، بحيث أن المغترب أصبح يتحكم في جماعة الأصل، بفضل ما يدره عليهم من مزايا ومال، أما المرحلة الثالثة والتي كانت بعد الاستقلال اتسمت بهجرة العائلات، أو كما يصفها صياد الهجرة الإسكانية، الشيء المميز لهذا السوسيولوجي، أنه وضع مفاهيم جديدة (عبد الله بلعباس، 2013، ص25)، حيث تتبع المهاجر من بلده الأصلي إلى البلد المستقبل، وركز على مساره والتحولت التي طرأت وتطرا عليه، من خلال مراحل وسياق تاريخي، وفرق بين الهجرة *émigration* والغربة *immigration*، أي أن المهاجر ليس ذلك الشخص الذي ينتقل بجسده من بلده الأصلي إلى البلد المستقبل، بل هو كائن اجتماعي، يحمل في حقيقته أفكاره وقيمه وثقافته، كما يحمل أمتعته من لباس ومستلزماته، يستوطن بلد الهجرة وتطرا عليه تغيرات كثيرة، تغير من طباعه ومن أشياء كان يعدها من المسلمات، فمدخل عبد المالك صياد في تحليل الهجرة؛ يبدأ بمدخل قيمي ثقافي، ثم ينتهي إلى مدخل اقتصادي، تحكمه الرأسمالية الحديثة والذي هو موطنها، وكأنما تنبأ بمآل الهجرة وأخذها البعد المادي البحت، والمصلحة الفردية التي طغت في العصر الحديث، التي لا تضع أي اعتبارا لأي شيء، بل تنتهك حتى الأعراف والقيم للوصول لتلك المصالح.

2.4.1- نظرة الوظيفيون للهجرة غير الشرعية:

تعد النظرية الوظيفية من النظريات الأولى المؤسسة لعلم الاجتماع، تنظر للمجتمع ككل متشابك ومتعاون في البناء والتوازن، فكل عنصر يقوم بوظيفة معينة، وأي خلل فيه يؤدي إلى إخلال في نظام وتوازن المجتمع، ويعد دوركهايم (Durkheim) من الرواد المدرسة الوظيفية؛ فشكل مصطلح الأنومي (Anomie) والذي اختلف الباحثون العرب في تحديد مصطلح يشبهه بلغتهم، فالأنومي هي الخللة عند خليل أحمد خليل، والارتباك والفوضوية عند سليم حداد، والفوضوية والتفكك لدى المنظمة العربية للترجمة، تبعا لدوركهايم يعبر الأنومي عن وضع اجتماعي، حيث تكون المعايير ضعيفة، متصارعة أو غائبة، مما

يسبب فوضى في المجتمع، وحيث يفقد الأفراد حسهم بالقيم والمعايير المشتركة، مما يؤدي إلى التباس في كيفية السلوك والتفكير العادي للفرد في داخل المجتمع.

ويرى روبرت ميرتون (Merton. 1969/1949. P55)، على مفهوم الأنومي يدخل ضمن نظرية التوتر (The Strain Theory) التي حاولت تفسير الانحراف، وتبعاً له، يحدث الانحراف عندما يكون هناك تفاوت بين الأهداف المحددة ثقافياً، والوسائل الاجتماعية المشروعة لتحقيقها، هذا التوتر بين الهدف والوسيلة، يدفع بالبعض لانتهاج سلوك منحرف، وعدم الامتثال لضبط الاجتماعي من قيم وقوانين.

اقترح ميرتون خمسة أساليب تكيفية لشرح التفاوت:

الامتثالية: ملاحقة الأهداف المسموحة ثقافياً، عبر الوسائل المشروعة وهي ليست انحرافاً.

الابتدائية: ملاحقة الأهداف المسموحة ثقافياً، عبر وسائل غير مشروعة.

الطوقسية: رفض الأهداف المسموحة ثقافياً، لكن متابعة اعتماد الوسائل المشروعة.

الإنسحابية: رفض الأهداف والوسائل معاً.

الثورية: رفض الأهداف والوسائل معاً، واستبدالها بمجموعة أهداف ووسائل جديدة.

ومن نموذج ميرتون يظهر لنا أن النموذجين الثاني والخامس نستطيع إسقاطهما على ظاهر الانحراف وهذين النموذجين، يفسر لنا كيف يحدث في المجتمع، فالمجتمع غايته تحسين ظروف الأفراد والرفع من مستواهم المادي الثقافي والاجتماعي، ولكن حين يعجز المجتمع عن توفير الوسائل وتوزيع العدالة بين أفرادها، أو يعجز الفرد نفسه في استعمال الوسائل المتاحة لأحد الأسباب الخاصة به، يبتدع وسائل أخرى في الكثير تكون غير مشروعة في ملاحقة الأهداف المشروعة، فالمكانة الاجتماعية تفرض نفسها بمظهر لائق، وثروة يكون الفرد فيها في وضع مريح اجتماعياً واقتصادياً، لكن تقاعس الفرد في السعي الشريف لتحقيق ذلك يدفع الفرد للبحث عن البديل، ومن النماذج المتوفرة أمام عينيه ذلك الفرد الذي هاجر إلى ما وراء البحر، وبعد مدة قصيرة رجع محققاً كل ما عجز عليه أقرانه في سنوات، هذا المنطق يجعل من الفرد، يتشجع لخوض تجربة مماثلة وربما أحسن، نظراً لتوفر المصادر والمعلومات، وربما يجعل منها مسألة تحدي أمام نفسه، وأمام خصمه بالمعنى الجزائري "نتيجو" أي ما يقاربه سناً ومستوى، وكذلك مبدأ الثورية التي يقترحها ميرتون، إذ نجد أن هؤلاء الأفراد غالباً ما يخطون طريقاً غير الطريق الاجتماعي المعروف، ويضعون أهدافاً مغايرة لأهداف المجتمع، ويصممون لها وسائل غير الوسائل المتاحة نظرياً، لارتباط الوسيلة الغير المشروعة بالهدف الغير المشروع، وهذا يفسر لنا، تطور النظرة للهجرة والهجرة غير الشرعية، والتي يسعى من ممارستها إلى احترافها وتصديرها في نموذج إجرامي، تدر عليه أموال طائلة بعد انخراطه في عصابات التهريب، أي تهريب كل شيء ومنها تهريب البشر، وهذا ما تقسره مفهوم الثورية لدى ميرتون، أي لا يكتفي الفرد أن يكون مبتدعاً، بل يتجاوز ابتدعاه في رسم أهداف غير مشروعة، تتحقق منطقياً بالوسائل غير المشروعة التي مارسها من قبل.

3.4.1- نظرية التعلم الاجتماعي لسذرلاند وباندورا:

يرى هذان العالمان (مكي عبد المجيد الربيعي، 2006، ص 105-106) إن الفرد يتأثر بالنماذج الثقافية ما لم تكن متنافسة، والسلوك المنحرف عنده يكتسب بالتعلم من خلال الاتصال والتفاعل الاجتماعي، وتلعب طريقة الاتصال وعمقها، وتكرارها مع الأنماط المنحرفة، دورا فعلا في سهولة التعاطي مع السلوك المنحرف، وخاصة إذا كانت في سن مبكرة، والهجرة وأفكارها تتسرب إلى عقل المراهق، بسهولة ولن نختلف على أنه سلوك من أشد الانحرافات، التي تحتاج إلى التعلم ممن لهم الأسبقية والتجربة، وخاصة في الأحاديث بين الرفاق والترويج للأمر بينهم، والقصص التي تثار من طرف هذا وذاك، وحكايات الأنترنت والفيسبوك، كل هذه الأشياء يجعل من العملية أشبه ما تكون عملية تثقيفية، تحتاج وتنتظر الخروج من الممارسة الشخصية، لتعبير عن الرجولة والنضوج والتفوق في هذا الأمر، وهذا لأجل تجنيد الداعمين وإيجاد شبكة من المعاونين، والتي تمثل مصادر للأموال غير المشروعة، بحيث يمثل الشباب وخاصة المراهق منه، فريسة سهلة للإقناع على خوض المغامرة والتجربة، وطريق مضمون في تسريع انتشار وتسويق هذا النوع من الصفقات، والتي يحاول الأطراف المستفيدة التنظير لها، بشتى الطرق وحتى توريط البعض فيها، والتهديد والترغيب بأمور مختلفة لإجبار الشاب للاستسلام للأمر الواقع، وخوض التجربة ومن هذا المنطلق، يكون سيزرلاند وباندورا قد أعطيا تفسيرا واقعا لمباشرة وتنفيذ عملية الهجرة، بالنظر إليها كونها نوع من الانحراف مصدره تقليد الرفاق.

5.1- وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في الهجرة غير الشرعية:

1.5.1- أثر الفيسبوك في الترويج لفكرة الهجرة غير الشرعية:

الفيسبوك هي شبكة للتواصل الاجتماعي، فمنذ خروجها سنة 2004 أخذت الإحصائيات في استعماله تتضاعف طرديا، ونظرا لما توافره هذه الشبكة من تفاعل بين الأفراد؛ عن طريق الصورة والصوت والفيديو والبيانات المختلفة، جعل منها المرشح الأول لاستقطاب شريحة كبيرة من المجتمع لاستعماله.

أ- استعمال الفيسبوك في الجزائر:

يشير تقرير وكالة الاستشارات الدولية داتا ريبورتال، إلى ارتفاع مستخدمي الأنترنت في الجزائر بـ 5 ملايين خلال سنة 2022، فيما يتربع اليوتيوب على عرش الشبكات بـ 22 مليون وعدد مستخدمي الأنترنت 32.09 مليون مستخدم في الجزائر في بداية عام 2023، حيث بلغ معدل انتشار الأنترنت 70.9% من مجموع عدد السكان بعد أن كان في حدود 27 مليون مستخدم عام 2022. وبلغ 23.95 مليون مستخدم لوسائل التواصل الاجتماعي في جانفي 2023، أي ما يعادل 52.9 بالمائة من إجمالي عدد السكان، و48.53 مليون اتصال نشط عبر الهاتف المحمول في الجزائر في أوائل عام 2023، وهذا الرقم يعادل 107.2 في المائة من إجمالي السكان (عبد الرزاق. ب، عدد مستخدمي الأنترنت وشبكات التواصل بالجزائر عام 2023، الشروق أون لاين)، و22.10 مليون مستخدم تبلغ أعمارهم 18 عامًا فأكثر يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما يعادل 75.4 بالمائة من إجمالي عدد السكان الذين تبلغ أعمارهم 18 عامًا فما فوق، 41.9 بالمائة من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في الجزائر من الإناث، في حين كان 58.1 بالمائة من الذكور.

ب- مضامين وسائل التواصل الاجتماعي:

لاشك أن المضامين التي تنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي، متعددة ومتشعبة وفي تغيير مستمر وتراكمي، يجعل منها مجال استقطاب للمعرفة في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وفي هذه المواقع، نشأت بما يسمى العوالم البديلة أو الافتراضية التي تعوض العوالم الحقيقية، تستطيع ربط علاقات وتجميع اهتمامات، لأشخاص وأفراد من مختلف بقاع الأرض فضلا عن الوطن الواحد، وعملية الربط أصبحت تتم ضمن خوارزمية، ذكية تصل حتى إلى تقديم اقتراحات في ربط علاقات متعددة بمجرد ربط علاقة ثنائية لشخصين، فيقوم الروبوت باقتراح أصدقاء هذا وذاك، وبهذه العملية تجد نفسك أو يجد المتصفح نفسه، وسط بحر من العلاقات والهويات المختلفة، تراحمه وتعرض عليه خدماتها في شتى المجالات.

ج- وسائل التواصل الاجتماعي كرابط اجتماعي جديد:

إن إغراق الحياة بوسائل التواصل الاجتماعي، دفع بالكثيرين اتخاذها بديلا للملاذ الشخصي، وخاصة أنها وسيلة ذات حدين بعدها الإيجابي وأبعادها السلبية، بل إذا عالجنها من الجانب الاجتماعي، قد تطرح على أنها رابط اجتماعي جديد، يفرض نفسه ويتصدر كل الروابط الاجتماعية، فحتى الدين كرابط قوي تراجع أمام هذا الرابط والوافد الجديد، هذا ما نشاهده لما يدعى إلى الصلاة ويفضل البعض إكمال مغامرته عبر الصفحة أو المحادثة، وإهمال شعيرة كان لوقت قريب من الخطوط الحمراء، التي لا يمكن رميها وراء الظهر، ولما يستدعي أحد أعضاء الأسرة ابنه وإبنته في قضاء حاجة مستعجلة، ويطلب التأجيل نظرا لارتباط هذا الأخير بالصفحة، هذا دليل على تراجع الرابط الأسري المقدس، وسقوطه أمام هذا الرابط الجديد، إن الولاء الذي قدمه الشباب كقربان لهذا الصنم الجديد، غطى عن كل الاعتبارات الاجتماعية والدينية والفكرية، وأصبح الشباب يؤمن حتى الإدمان بكل ما يراه ويتعاطاه من خلال الشبكة من أفكار وقناعات، وتوجهات جديدة، خاصة ضمن جماعات مشكلة في هذا الفضاء المتعدد المعايير، تحكمه المصلحة الأنوية واللحظية، وأمام هذه المعطيات نكاد نجزم بأنها ظاهرة متطرفة، يبدأ تشكيلها في هذا الفضاء ولو مبدئيا، عن طريق تبادل في الآراء وسط غرف الدردشة المظلمة، إن فكرة الحرقه تصمم صوتا وصورة بل حتى تقدم كنماذج يعتقد أنها ناجحة، ولو كان هذا النموذج الذي تم إنقاذه كواحد من الألف الهالكة أو الغارقة، سيكون نموذجا جذابا ينصاع وراءه الكثير، ولو بدافع الفضول وخوض التجربة.

د- تلميع حياة الهجرة والمهاجر عبر وسائل التواصل الاجتماعي:

تقوم معظم وسائل التواصل الاجتماعي بتلميع حياة المهاجرين، سواء من طرف الشخص المهاجر نفسه، وذلك ربما لإخفاء إخفاقه في مشروعه، والحديث عن نفسه وظهوره بمظهر البطل، والمنقذ والحكيم الذي يسدى النصائح للشباب عن كيفية الهجرة والطرق الآمنة التي يجب أن يسلكها الحراق، كي يصل بكل أمان، وهمه في الأمر هو جلب المشاهدات والجامات لصفحته التي يقات عليها، ويكفي أن تكتب في قول أو شبكة اليوتوب عبارة مثلا "أحسن بلد للإقامة في أوروبا"، حتى تخرج لك مئات الصفحات ممن يدعون أنفسهم صانعي المحتوى، تتحدث بإقناع وإسهاب عن الموضوع وتشجع الذين يرغبون في الأمر، ومعظم هذه الصفحات تروج للعيش في أوروبا سواء بالإغراء بمناصب عمل بأجور خيالية أو سهولة

العيش، أو رخاء المعيشة، وغيرها وفي غالب الأحيان سواء صدقت هذه الادعاءات أو كانت كاذبة غير واقعية، الهدف من وراءها الترويج لصفحات هؤلاء الأشخاص، والتي يعلنونها صراحة بعبارة " أدعنا بلانك " من أجل الاستفادة من أموال بالعملة الصعبة.

2.5.1- قنوات الإعلام ودورها في الترويج العكسي للظاهرة:

بعض قنوات الإعلام، والتي تحاول معالجة ظاهرة الهجرة غير الشرعية، بتصوير مشاهد الحراقين المقبوض عليهم، من طرف قوات الأمن أو تصوير عمليات الإنقاذ في البحر، لقوارب الحارقة أو عرض القوارب الغارقة والضحايا، تعطي نصف الحل، لأن وصف الظاهرة لا يفي بالغرض، ما لم يتبع بنقاش من طرف المختصين والأكاديميين، والأئمة والفاعلين الاجتماعيين، فالظاهرة يجب أن تحلل وتناقش وتفسر، ويبحث عن الأسباب التي أدت إليها، محاولة معالجة الأسباب وليس الاكتفاء بمعالجة الأعراض، وغالبا ما كانت ظواهر مخفية ساهم الإعلام في إخراجها إلى العلن، ليتم التطبيع معها من طرف المجتمع وتصبح تمارس عن طريق التقليد، أو المعلومات التي وفرتها هذه الوسائل، لكن رغم هذه المحاذير لا نستطيع أن نجزم بأن هذه الوسائل تكون دائما أسلوبا للتهويل والتطبيع، الشيء الذي ننتقده هو الاكتفاء بالوصف فقط دون طرح نقاش واسع للموضوع، رغم بعض المحاولات المحتشمة والتي غالبا ما يحضر لها أطراف ليس لها علاقة بالموضوع.

2- الجانب التطبيقي للدراسة:

1.2- منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الإحصائي، محاولة استنتاج مجموعة من المبحوثين حول نظرتهم للهجرة بصفة عامة والهجرة السرية بصفة خاصة، وقد استعملت لهذه الغاية استمارة بخيارات متعددة، مقسمة على عدة محاور منها؛ ما هو اجتماعي اقتصادي سياسي وتعليمي، ومحور آخر لأسباب أخرى كدوافع وتمثلات تحيط بالمهاجر لخوض هذه التجربة.

2.2- العينة:

اخترنا عينة من صفحات تهتم بهذا الأمر، وهي عينة قصدية، قمنا بإرسال الاستمارة مباشرة لملاها وإعادة إرسالها عبر رابط متصل بها، وقد اخترنا عينة بـ 50 مبحوث ذكور وإناث.

3.2- الوسيلة:

استعملنا لتحليل هذه الاستمارة الالكترونية منصة قوغل درايف، واخترنا برنامج تحليل الاستمارات والاختبارات ما يعرف قوغل فورم googleform .

4.2- تحليل الأبعاد:

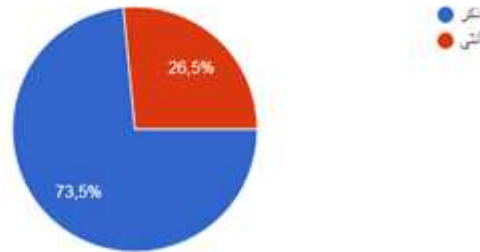
لقد هدفت الدراسة بصفة عامة إلى الاعتماد على أبعاد عامة؛ كالبعد الاجتماعي والبعد الاقتصادي وكذا البعد السياسي وأخيرا البعد التعليمي، ومواصلة الدراسة في الخارج كحواجز وأسباب تدفع المهاجر للمخاطرة وركب أمواج البحر، وذلك من خلال طرح مؤشرات، تدعم هذا البعد أو ذاك وأرادت الدراسة أيضا سبر أغوار المبحوثين، والبحث عن المؤشر الحقيقي، وبالتالي البعد الممثل في عملية الهجرة، وبالتالي عمدنا إلى ترك حرية للمبحوث في اختيار عدة بدائل، دون التقيد أو توجيه لاختبار بديل واحد.

5.2- تحليل الأجوبة:

أجوبة المبحوثين كانت ردود على شكل خيارات، ترجمها البرنامج إلى معطيات بيانية، نستطيع تحليلها وإعطائها عدة قراءات سوسيولوجية، قد تكون في بعض الأحيان متناقضة وفي أغلب الأحيان جاءت الردود منطقية ومعقولة.

البعد الأول: عامل الجنس.

جنس المبحوث
49 réponses



الشكل (1): عامل الجنس

المصدر: إعداد الباحثين

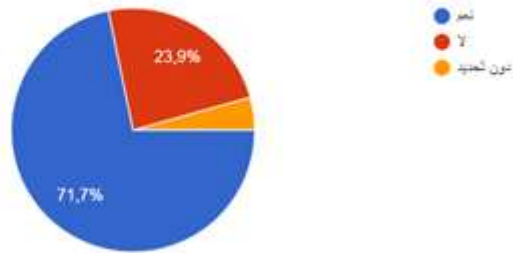
التحليل: من بين 50 مبحوث حصلت الدراسة على 49 رد منهم 26.5% إناث و73.5% ذكور.

التعليق: إن خوض الهجرة والمغامرة، لازالت تخص الفئة الذكورية أكثر من الإناث، والسبب أننا مجتمع ذكوري ما زالت السيطرة للذكر، والمسؤولية تقع على الذكور وحدهم دون الإناث، وهذه الفئة مطالبة بتوفير قوت العيش وبناء الأسرة، الشيء الذي ينتظره الآباء بل يحرصون عليه، وهو رؤية أبنائهم وخاصة الذكور منهم، في أحسن حال وهو دليل على نجاح الرسالة الاجتماعية، الملقاة على الآباء في ترك أبنائهم على أحسن حال، ولسان حالهم يقول بالمثل الشعبي "تموت مهني"، ورغم الكثير الرفض لفكرة الطريقة أي المخاطرة في تحقيق ذلك، لكن الكثير يصمتون ويتمنون لأبنائهم النجاح في المهمة، رغم معارضتهم لها في العلن، وهذا يدل على أن الأمر يستحق المخاطرة، لما يجنونه في حال نجاح أبنائهم في الاستقرار في أوروبا، ودعمهم ماديا ولو بالقليل، وكذلك تعتبر فكرة النجاح والترويج له بين الجيران والمجتمع رأسمال اجتماعي رمزي على حد تعبير بيار بورديو، وذلك بالمفاخرة في هذا الفضاء المحلي بإنجازات أبنائهم في الغربية وتسمى في لغة الدارجة "الفحولية".

أما فيما يخص الإناث فالأمر مختلف، فغاية الأمر أن يرى الآباء بناتهم متزوجات مستورات على حد تعبير الكثير، وبالتالي تكتمل المهمة فلا يطلب منهن الكثير إلا اللواتي يطمحن في مواصلة الدراسة، لكن مع شرط الرجوع لاحقا، وعدم الرجوع الى أرض الوطن يعني العيب والعار، الذي سوف تجلبه الفتاة للأسرة وخاصة إذا لم تتخطى في مشروع زواج في الغربة.

البعد الثاني: حول قضية لا رجوع لأرض الوطن.

هل تنوي الرجوع للوطن
46 réponses



الشكل (2): حول قضية لا رجوع لأرض الوطن

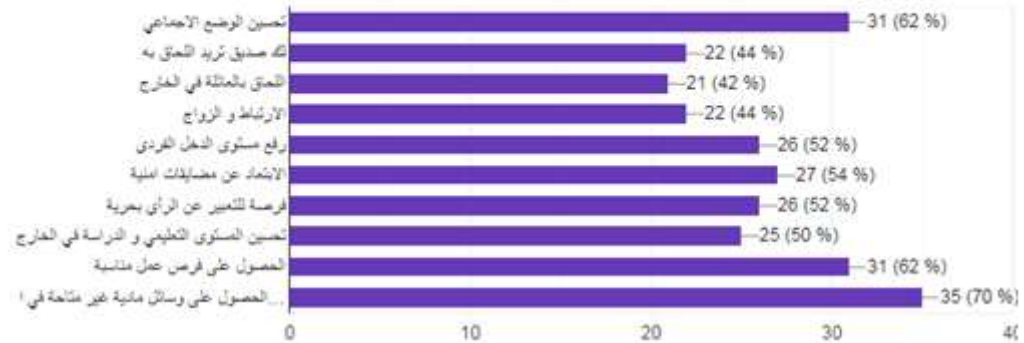
المصدر: إعداد الباحثين

التحليل والتعليق: نسبة كبيرة بما يناهز 71.7% فضلت الرجوع إلى أرض الوطن، في حالة إتاحة الفرصة وذلك لارتباط الفرد الجزائري بوطنه، وهذا يدل على أن الأمر ليس هروبا من الوطن، بل هي وسيلة للبحث عن بدائل للعيش الكريم، وخاصة في حالة ترك أب أو أم تشتعل حرقا على أبنائه، أو الكثير من الحراقة مارسوا هذه التجربة خلصة بعيدا عن رضا آبائهم، وبالتالي سوف يعودون لإرضاء آبائهم بعد تسوية أوضاعهم هناك في الغربة، ونجد نسبة قليلة اختارت خيار عدم الرجوع، وفي تحليلنا المعمق نجد أن هذه النسبة مطاردة أمنيا أو سياسيا أو لديها سوابق، ومعظمهم اختاروا الارتباط والزواج، وبالتالي الاستقرار في أوروبا إلى غاية ربما وجود جو ملائم لرجوع للوطن.

البعد الثالث: التمثيل الشخصي للهجرة.

ما ذا تمثل لك الهجرة الغير الشرعية

50 réponses



الشكل (3): ما ذا تمثل لك الهجرة غير شرعية

المصدر: إعداد الباحثين

عدد الإجابات: لخمسين مبحوث 266 إجابة والتي تمثل 100 من الخيارات المطروحة.

6.2- تحليل النتائج:

حسب المدرج التكراري، تأتي نسبة الذين يرغبون في الحصول على وسائل مادية، لم تتح لهم الحصول عليها في موطنهم الأصلي، يأتي هذا الخيار بنسبة 70% وبعدها 35 إجابة من أصل 50 مبحوث، يليها الحصول على فرص عمل مناسبة وتحسين الوضع الاجتماعي، بنفس النسبة والتي قدرت ب 62% وبعدها 31 إجابة من أصل 50 إجابة، ثم تأتي ما نسبته 54% بعدد إجابات 27 إجابة من أصل 50 إجابة كخيار متعدد الأبعاد عن مضايقات أمنية، والتي يليها 52% الرغبة في التعبير عن الرأي في فضاء ديمقراطي، والتي توافقت مع رفع من مستوى الدخل الفردي بعدد إجابات 26 إجابة من أصل 50 إجابة، أما المستوى التعليمي ومتابعة الدراسة، فقد جاءت الردود عليها بنسبة 50% أما ما نسبته 44% وبعدها 22 إجابة فتوزعت بين الالتحاق بصديق، والرغبة في الارتباط بواسطة الزواج، وجاءت بنفس النسبة تليها أخيرا الالتحاق بالعائلة بما نسبته 42% وبعدها 21 إجابة.

7.2- التعليق على الإحصائيات:

إن ما نسبته 70 % اختاروا تحقيق وسائل مادية، لم يستطيعوا تحقيقها في البلد الأصلي، ويفسر ذلك على أن رغبة الشباب هو كسب وسائل الرفاهية، وليس ضمان الحد الأدنى من العيش، الشيء الذي يناقض تماما بعض تصريحات المهاجرين من دول جنوب الصحراء، الذي يعانون من تردي المعيشة، هذا من جهة ومن جهة أخرى صعوبة الحصول على هذه الوسائل المادية؛ كسيارة فاخرة ومسكن جيد تعد حصرا على الأغنياء رغم برامج التنمية، ومشاريع إعطاء السكنات في بعض البلدان، التي تبنتها سياسات عامة للدولة، كما الحال في الجزائر، ولذلك يبقى هذا الخيار مهم لفئة الشباب.

إن تحسين الوضع الاجتماعي، والحصول على فرص عمل مناسبة له علاقة وطيدة ببعضه البعض، لأن لا يمكن أن تحسن وضعك الاجتماعي دون عمل، ولهذا الذين يعتقدون أن الأمر مرتبط ببعضه

البعض قد جاءت متوافقة ومعبرة، وربما يأتي هذا الخيار من خلال ما يشاهده هؤلاء المهاجرين على وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الاعلام، من تجارب ناجحة لبعض الذي ركبو الموج وخاطروا من أجل هذا الأمر، إن فرص العمل المتاحة في أوروبا، وطرق الحصول عليها بعدالة أو الحصول على منحة تقدمها الدولة وخاصة بعد تسوية وضعيه المهاجر، كفيلة بتشجيع هؤلاء على خوض التجربة، وخاصة أن فئة معتبرة منهم من البطالين الذي يحملون شهادات عليا وخريجي الجامعات، وبالتالي فهم يسعون من خلال هذه الفرصة إلى تحسين وضعهم ووضع أسرهم سواء بإعانتهم بالتضحية بدل عنهم، هذه التضحية تستحق المغامرة.

إن خيار الابتعاد عن المضايقات الأمنية، والتعبير بحرية عن الرأي، جاءت النسبتان متقاربتين 54% و52%، وهذا دليل على أن المؤشرين متقاربين، فمشكلة التعبير عن الرأي في بلدان جنوب المتوسط هي مشكلة، لم تحل إلى حد الآن، رغم التغني بشعارات الديمقراطية وحرية التعبير، التي تقام حولها مهرجانات كل سنة لكن تبقى بعيدة كل البعد عن الواقع المحسوس، وهذا ما يفسر خيار البعض أن غاياتهم من الهجرة هو البعد عن المضايقات الأمنية، التي في أغلب الأحيان كان سببها مشكلة التعبير عن الرأي في هذه الأنظمة، التي مازالت تعاني من المشكلة السياسية في أغلب دول العالم الثالث.

أما باقي الخيارات فهي خيارات تبعية منها اجتماعية بحتة، كخيار اللحاق بصديق وهذا حسب ما طرحناه في نظرية التقليد لسذرلاند؛ التي تفسر السلوك على أنه تقليد للآخر، خاصة إذا كان هذا الآخر له نفوذ وتأثير، أما فيما يخص الزواج بنسبة أقل فهو جسر عبور لتسوية الوضعية، مع خبار اللحاق بالعائلة في الغربية، وخاصة من الذين كان أباءهم قد تحصلوا على إقامة دائمة، فهذه الطريقة تسهل عليهم الأمر في نجاح تجربتهم، لكن ما دام أن لديهم عائلات ويودون اللحاق بها، فلماذا اختاروا سبيل الهجرة الغير الشرعية؟ هذا حسب رأينا يرجع إلى تشديد هذه البلدان في إعطاء التأشيرة للشباب.

والخلاصة أن هذه المؤشرات تصب كلها في شيء واحد، و هو تنفيذ مسلسل الهروب من الأوطان، التي أصبحت لا يطاق العيش فيها - حسب بعض تصريحات الشباب -، رغم وجود نية صادقة لبعض البلدان في تجاوز الأمر، ومكافحة الهجرة غير الشرعية والتي خصصت لها ميزانيات كبيرة، وحتى دعم من الوكالة الأوروبية لمكافحة الهجرة، كما رأينا فيما سبق الاتفاقيات التي أبرمت مؤخرا في هذا المجال، بين هذه الهيئة وبعض بلدان جنوب المتوسط كتونس ومصر وموريتانيا.

3- بعض المقترحات والحلول:

1.3- على المستوى الداخلي:

- يجب تحسين ظروف العيش في الوطن، وخاصة الاقتصادية وترشيد المشاريع الشبابية وإعطاءها لأصحابها.

- مصارحة الشباب عن الوضع الحقيقي للبلد ودفعهم للانخراط في عجلة التغيير.

- محاربة الفساد فعليا وليس شكلا بأعمال فلكلورية وشكلية وتطوير الاقتصاد لأنه أساس كل تطور.

- توزيع ثروات البلد بالعدل على مناطق الجنوب، مثله مثل الشمال وإصلاح الجنوب الفارغ، وفتح طريق نحو إفريقيا وإعطاء الشباب منفذ تجاري واقتصادي لهذا الطريق، وذلك لصد الزحف البشري من الجنوب من طرف مواطني الدول المجاورة.
- التزود بوسائل تكنولوجية عصرية للحراسة التكنولوجية على الحدود الافتراضية للبلد وذلك يوضع خوادم للتحليل ومتابعة الجريمة المنظمة سواء الهجرة السرية أو المخدرات.
- عقد ندوات دورية بحضور مختصين لمناقشة الموضوع.
- تفعيل دور المجتمع المدني والجمعيات، وحثها على الحديث في الموضوع
- معالجة الموضوع تربويا من خلال مواضيع في الامتحانات الرسمية، تثار فيها القضية، أو برمجة نصوص تعالج الظاهرة.

2.3- المستوى الخارجي:

- تسهيل الحصول على التأشيرة السياحية وعدم فرض قيود صارمة، يسمح ويجعل الأمر عاديا كما كان في السابق إذ أن كل ممنوع مرغوب كما يقال.
- عقد ندوات دولية وأرو متوسطة لمناقشة الموضوع، واتخاذ قرارات هامة لمعالجة الظاهرة.
- التنسيق الأمني مع دول الجوار والجنوب ودول الضفة الأخرى للحد من الظاهرة.
- حث الدول الكبرى للاستثمار في الدول الفقيرة، وفتح مشاريع تنموية لضمان عدم مغادرة الفئة الشبانبة للبلاد الأصلي.

خاتمة:

مهما تكلمنا عن ظاهرة الهجرة غير الشرعية، فلن نغطي إلا القليل من الأسباب والنتائج والعواقب، التي ترافق ذلك المهاجر السري، انطلاقا من بلده الأصلي وعابرا طريق المجهول، إلى غاية وصوله إلى البلد المستقبل، فمعظم الدراسات تصب في الجانب الأمني، عكس ما كان في السابق من الدراسات الاجتماعية، بدء من هجرة الفلاح البولوندي إلى الهجرات التي تلت الحروب العالمية، والتي كانت تحمل بين ثناياها البعد الثقافي الاجتماعي، أما حديثا فهذه الأبعاد أصبح لا يعطى لها أهمية كبيرة، إلا ما اقتصر على البعد الاقتصادي، و كما يبقى الجانب التكنولوجي كعامل محوري، وحساس في توجيه الانحراف سواء سلبا أو إيجابا، إضافة إلى عدم القدرة والكفاءة اللازمة للتحكم في هذا العامل، إلا من طرف فئة قليلة من المجتمع، وفي بعض الأحيان تعاني الدولة نقصا كبيرا في هذا المجال، سواء في العتاد أو الخبرة، مما يؤدي إلى طرح تساؤلات كثيرة حول الحكومة الالكترونية، وعصر المعلومات ومجتمع المعرفة التي تتحدى بها شعوب ودول العالم العصر الحديث، ومع دخول الذكاء الاصطناعي والذي يقتصر دورنا في الاستهلاك، كيف يتم توظيف هذا العامل سواء من طرفه السلبي أو الإيجابي، لتسيير أزمات قادمة، قد تفرض على البلد، وخاصة الهجرة السرية، التي تهدد في تغيير البنية الديمغرافية لبعض البلدان، التي لم تتعاطى معها بجدية كافية وبعين وإجراءات عملية وعلمية صارمة.

- الإحالات والمراجع:

- أية الله حمدي مجلة الأسبوع الرياضي على الانترنت، <https://www.elaosboa.com/579715/>، 2023/05/17.
- ساوس خيرة عبد الرحمان - جريمة الهجرة غير الشرعية في القانون الجزائري بين الوقاية والعلاج، المجلة العربية للعلوم والنشر 2018 العدد العاشر.
- طارق القيزاني، عام مفصلي أمام الشراكات الشاملة لكبح الهجرة غير النظامية، www.aljazeera.net، 2024.
- علي لبيب وآخرون، قاموس الجغرافيا (عربي فرنسي إنجليزي)، (بيروت، الدار العربية للعلوم، 2004 ط1، (ص 333).
- غدنز أنطوني، (2005)، علم الاجتماع، ترجمة الدكتور فايز الصباغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- فايزة ختو، " البعد الأمني للهجرة غي الشرعية في إطار العلاقات الأورو مغربية 2010/1995 «رسالة ماجستير (الجزائر: جامعة الجزائر) 2012-2013.
- محمد غربي الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الابيض المتوسط (المخاطر واستراتيجيات المواجهة) دار الروافد الثقافية، الجزائر، 2014، ط1.
- مكي عبد مجيد الربيعي، أسباب العودة للجريمة، جامعة اهل البيت، ص: 106-107.
9. Merton, Robert K. (1969/1949). Social Theory and Social Structure. New York: Free Pres.